مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.
المجلد:08/ العـدد01 جوان (2024)، ص.ص354-366

سيميائية الصورة التعليمية في الكتاب المدرسي: السنة الأولى الابتدائية مثالا

Semiotics of the Educational Image in the Textbook: The First Year of Primary School as a Model

د. زروقي معمر
maamar.zerrouki@univ-saida.dz
جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2024/01/01 تاريخ القبول: 2024/03/20 تاريخ النشر: 2024/06/02

الملخص:
تحاول هذه الدراسة مقاربة موضوع الصورة التعليمية في الكتاب المدرسي المخصص لنشاطات اللغة العربية، والتربية الإسلامية، والتربية المدنية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي، متوسلة بإجراءات التحليل السيميائي، وببعض الأدوات التأويلية التي تنطلق من القراءة الدلالية والمعرفية الخاصة، وهي بذلك تطرح بعض التساؤلات بخصوص مدى ملاءمة الصورة التعليمية للأهداف المعرفية والتعليمية، والى أي مدى يمكنها المساهمة في تحقيق تعليمية ناجعة. كما تطرح هذه المقاربة تساؤلات عميقة تخص تلك الأبعاد والوظائف الخطيرة التي تنهض بها الصورة التعليمية وبالأخص حينما يساء استخدامها، لذلك تقصر الصورة التعليمة عن تأدية الوظائف التعليمية المنوطة بها.
كلمات مفتاحية: السيميائية، الصورة التعليمية، التأويل، الكتاب المدرسي، السنة الأولى الابتدائية.

Abstract:
This study seeks to explore the theme of the educational image in the textbook designed for Arabic language, Islamic education, and civic education activities in the first grade of primary school. It employs semiotic analysis procedures and interpretive tools derived from semantic and cognitive readings. The study raises inquiries regarding the suitability of the educational image for cognitive and educational objectives and examines its potential contribution to achieving effective education. Furthermore, this approach poses profound questions concerning the dimensions and critical functions that the educational image assumes, particularly when misused. Consequently, the educational image falls short of fulfilling its designated educational functions.
Keywords: *Semiotics; Educational Image; Interpretation; Textbook; First Year of Primary School.*

1-مقدمة:

تعد الصورة التعليمية مظهرا بصريا وتشكيلا أيقونيا من شأنه تبئير انتباه المتلقي المتعلم، ودفعه إلى التجاوب الإيجابي، والى إحداث التفاعل المثمر مع مكوناتها وأهدافها التعليمية، ولا سيما إذا ما تم تشكيلها وفق المعايير والشروط الخاصة بالفئة العمرية المستهدفة، وبالأخص في الأطوار الأولى والمراحل التعليمية المتقدمة، وبذلك فالصورة التعليمية تعد عتبة سيميائية، ووسيطا معرفيا مهما لإثارة المتعلم ولتنمية العديد من المهارات لديه، كالمهارات الحسية والرياضياتية (الأحجام

والنسب) والفنية (الألوان) والخيالية، بالإضافة إلى المهارات الأخلاقية التي تجعله يتحلى بالأخلاق الحسنة، ويبتعد عن ممارسة السلوكات الخاطئة.

تشكل الصورة التعليمية نوعا من السرد البصري تتضافر جملة من المكونات والرموز والإشارات والرسومات والألوان في تأثيثه وفي بناء سرديته، وهو عين إشارة "رولان بارت" في تعريفه الشهير للسرد[1]Narration حينما أكد على أن السرد يتجلى من خلال الصورة سواء أكانت ثابتة أم متحركة، وبذلك فالصورة التعليمية تختزن وتضمر خلف نظامها التشكيلي والأيقوني عالما سرديا ومخزونا ثقافيا متنوعا، لا يكشف عنه إلا بإمعان النظر في تركيبتها البصرية، وفي شبكة العلاقات المعقدة التي تنتظمها وتؤثثها، وبإعمال التأويل الدقيق الذي يسعى إلى إدارك أبعادها الدلالية، وفك شفرات مختلف مرجعياتها الفلسفية والدينية والسياسية والاجتماعية والإيديولوجية.

وفي كثير من الأحايين لا تحقق الصورة التعليمية غاياتها وأهدافها، لأنها لا تراعي أعمار المتعلمين، ولا مستويات إدراكهم الحسي والمعنوي، بالإضافة إلى حجم الصورة وحضور الألوان إذا لم تكن ملائمة للفئة المستهدفة، ولا تخدم الدرس المستهدف. وفيما يلي بعض الإشكالات التي تقف عائقا أما تحقيق الصورة التعليمية لأهدافها في الكتاب المدرسي الموجه للسنة الأولى من المرحلة الابتدائية:

-الصورة التعليمية في كثير من الحالات لا تراعي المستوى العمري للفئة التعليمية المستهدفة.

-حينما تقدم الصورة مشوشة وألوانها غير مناسبة ودقيقة، وهو ما يربك المتعلم، ويجعله غير قادر على إدراك المفاهيم والدروس المقدمة له، فهي تفوق مستوى الإدراك والوعي لديه.

-لا تشكل الصورة في بنائها مصدر إثارة للمتعلم، وحينها يجد صعوبة في التفاعل مع الدرس ومع مدرسه.

- عندما تبتعد الصورة عن واقع المتعلم، وبالتالي ينعدم التجاوب لديه، ويقصر فهمه وإدراكه. وربما تشكل بعض الصور التي لم يسبق له مشاهدتها في واقعه (البيت مثلا) حافزا لاكتشافها، وقد تتفاقم المشكلة أكثر إذا لم تتمكن البيئة من توفيرها له.

-الصورة قد تشكل مصدرا للعنف وبالأخص حينما يخاطب بها الفئات العمرية في الأطوار الأولى من التعليم، لأنهم في مرحلة تقصر ذاكرتهم عن استيعاب مخاطر بعض الوسائل مثل: الهواتف الذكية (الغبية)، الأسلحة البيضاء، الحواسيب، الأثاث المنزلي، استعمال بعض الألعاب في بعض المناسبات).

-بعض الصور تبتعد عن مخاطبة الجانب الحسي والواقعي لدى المتعلم، وتتضمن محتوى دينيا مجردا، لا يتطابق مع قدرات المتعلمين العقلية والإدراكية، وبالأخص الصور الدينية التي تحيل على الذات الإلهية (الكعبة، السيرة النبوية، بعض الصور التي تتضمن أسماء الله الحسنى...وغيرها).

-بعض الصور تخدم أفكارا إيديولوجية، وتسهم في ترسيخ بعض السلوكات غير الأخلاقية. (الاستماع إلى الموسيقى، استعمال الآلات العازفة، ارتداء الألبسة غير اللائقة...وغيرها).

-بعض الصور تؤثر نفسيا على المتعلم ولا تراعي مختلف الحالات الاجتماعية والنفسية التي يعيشها المتعلم في بيئته الأسرية. (فقدان الوالدين، الجد، الأخ...إلخ

بناء على ذلك لا يمكن التعامل مع الصورة "بوصفها زينة وإخراجا، بل هي نفسها فكرة والفكرة صورة"[2].وهنا تجدر الإشارة إلى بحث "جون بيير مونبيه" الموسوم: "المعرفة بالصورة": "أو ما العلاقة بين الصورة والمعرفة؟"[3]، الذي يركز على أهمية الجوانب الذهنية والتواصلية لمبحث الصورة[4]. كما أنه يشير إلى أن جون بياجيه رائد المدرسة البنائية أو المعرفية في علم النفس، كان يعتمد بشكل أساسي على مقولات بيرس المتمثلة في ثلاثيته المعروفة: المؤشرl'indice والأيقونة l'icône والرمز le symbole، وهو ما مكنه من وصف الوظيفة الرمزية على مراحل[5]، في دراسته لعملية الإدراك والتصوير الذهني لدى الأطفال.

ولما كانت الصورة التعليمية تنهض بتأدية مثل هذه الأدوار الخطيرة التي قد تتجاوز الغايات التعليمية المنوطة بها، إلى ما هو أبعد من ذلك، فتتحقق على يدها خدمة بعض الأهداف الإيديولوجية والسياسية والاجتماعية والدينية، آثرنا في هذه المقاربة استثمار البعد التأويلي في المقاربة السيميائية، بوصفها تخصصا علميا وحقلا معرفيا مختصا بدراسة الإشارات والرموز[6]، والكشف عن طرائق تشكل المعنى وانتاج الدلالة في النصوص اللغوية، ومختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية، أي إنها تهتم بكل أنساق إنتاج الدلالة[7]، وكيفيات التعبير والقول عما تريد قوله هذه النصوص

والأنساق[8]، وفي هذا النطاق تجسد الصورة التعليمية شكلا من هذه الأشكال، ببعديها البصري الرمزي والأيقوني، وبعدها الإحالي والدلالي المتواري خلف حجب منظومتها الترميزية المشحونة بطاقات تعبيرية ومعرفية يتم استدراج المتلقي المتعلم إليها، وجعله ينساق وراء الرسالة التعليمية والمعرفية التي تهدف إليها. وهنا يحق لنا أن نتساءل مع بارت أولا في كتابه "بلاغة الصورة": هل يمكن التمثيل بوساطة الصورة من إنتاج نظام تواصلي إشاري وأيقوني يقود إلى إنتاج الدلالة؟[9]. ومع "سعيد بنكراد" ثانيا: كيف ندرك الصورة؟ وكيف يأتي المعنى إلى الصورة؟[10]. وفي هذه الحالة نجد أنفسنا -من أجل الإجابة عن هذه التساؤلات- أمام حتمية توظيف التجربة والخبرة الذاتية في التأويل الصوري، لأن "العلامات البصرية –رغم إحالتها على تشابه ظاهري- لا تقدم لنا تمثيلا محايدا لمعطى موضوعي منفصل عن التجربة الإنسانية، فالوقائع البصرية في تنوعها وغناها تشكل لغة مسننة، أودعها الاستعمال الإنساني قيما للدلالة والتواصل والتمثيل. استنادا إلى ذلك، فالدلالات التي يمكن الكشف عنها داخل هذه العلامات هي دلالات وليدة تسنين ثقافي وليست جواهر مضمونية موحى بها. ومن هذه الزاوية، فإنها، شأنها في ذلك شأن وحدات اللسان، محكومة بوقائع توجد خارجها، أي إنها من طبيعة اعتباطية، ولا تنتج دلالاتها إلا وفق هذا المبدأ"[11]. وعلى هذا الأساس سيكون مدار اشتغالنا في تحليل بعض صور الكتاب المدرسي المخصص للسنة الأولى من التعليم الابتدائي.

2-القراءة السيميائية لصورة غلاف الكتاب:

قديما قيل "الكتاب يقرأ من عنوانه"، ويمكننا –بناء على ذلك- أن نقول:"الكتاب يقرأ من غلافه"، وصورة غلاف الكتاب مقبولة تشكيليا وأيقونيا إلى حد بعيد، لأنها جاءت معبرة عن الهدف التعليمي، وشاملة للأنشطة التي يحتويها الكتاب. فكتابة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ووزارة التربية في أعلى الصفحة، هي إشارة إلى الهوية الوطنية وإلى الجهة المسؤولة عن إنجاز الكتاب وإعداده.

أما العنوان فقد كتب باللون الأحمر البارز، وبياء النسبة **(كتابي)**. إذ كانت تستعمل قديما عبارة كتاب اللغة العربية، لكنها هنا للدلالة على ملكية الطفل أو المتعلم للكتاب المدرسي، ولأنه في هذه المرحلة العمرية يرغب الطفل في تملك الأشياء (نزعة التملك)، وبالأخص أن الكتاب زخرف باللون الأخضر المشع والمضيء الذي يغطي كل الغلاف تقريبا، فضلا عن أن هذا اللون يجلب الانتباه ويجعل الطفل يتعلق به أكثر، وهو ما يعبر عنه الطفل في أسفل صورة الغلاف، وهو يحتضن الكتاب. وبهذا جاء التصميم ملائما لمستوى المتعلم وحاجاته النفسية واللغوية.

وبالنسبة للهندسة الأيقونية للغلاف جاءت معبرة فمثلا: صورة المسجد والنخلة تتواءم مع نشاط التربية الإسلامية، وصورة المدرسة وسارية العلم في وسط الصفحة، تعبر عن نشاط اللغة العربية، وأخيرا صورة المحكمة أو دار البلدية على يسار الصفحة في إشارة إلى نشاط التربية المدنية.

وبهذا تسهم الصورة في تمرير بعض الرسائل منها: تحبيب المتعلم في الدراسة وترغيبه أكثر في الذهاب إلى المدرسة، ويظهر ذلك من خلال مظاهر السرور والبهجة والابتسامة البادية على محيا الطفلين، وفي تلويحه بيده اليمنى مرحبا. كما تبرز الصورة المظهر اللائق والأناقة التي يجب أن يكون عليها الطفل، وهو يقبل على المدرسة، من تنظيم وارتداء للمئزر واقتناء للأدوات والمحفظة، وذلك هو حال كل طفل في بداية عهده بالمدرسة.

كما تبدو المرجعية الدينية والوطنية حاضرة في مستوى صورة الغلاف (المسجد، الألوان، العلم الوطني، العادات والتقاليد ورمز المحافظة على الرغم من الانفتاح الواضح الذي يعبر عن التحولات التي شهدتها المدرسة الجزائرية (الصورة الخلفية للغلاف اجتماع الجدة مع أحفادها).

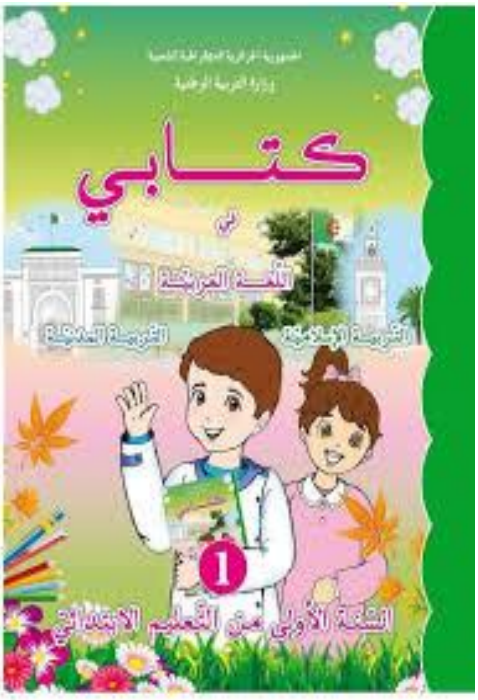

3- القراءة السيميائية لصور خاصة بنشاط اللغة العربية:

الصورة من الصفحة: 13 من الكتاب وهي دعامة لنص (تعرّف على عائلتي)، يظهر في الصورة الجد والجدة والأم والأب والأبناء أو الأحفاد، وهي بهذا تسهم في التعبير عن أحد المظاهر الاجتماعية وهو اجتماع العائلة في وقت يكاد يغيب عن عائلاتنا مثل هذا الجو، إلى هنا فالصورة هادفة ومعبرة، لكن بالذهاب إلى النص نجد أنفسنا لا نعرف من المخاطَب (بلال) ولا من يخاطبه في الصورة؟ غير أننا نفترض من خلال تمعننا في الصورة ومن خلال إشارة اليد الذي يبديها الطفل الذي يرتدي اللباس الأزرق، أن يكون بلال هو الذي يرتدي اللباس الأخضر في الصورة. بالإضافة إلى ذلك لم يشر النص إلى قطبين رئيسيين في تركيبة العائلة، وهما الأب والأم، وإن كنا نجزم بأنهما الظاهران في الصورة، لكن التأويل يفترض أن يكونا الخال والخالة أو العم والعمة ..إلخ. هذا ناهيك عن أن الصورة تظهر نوعا من التحضر والانفتاح البادية على هذه العائلة، سواء من ناحية الديكور والأثاث العصري، أو من ناحية العادات والأعراف والمحافظة في المجتمع الجزائري التي تقتضي أن لا يجتمع الزوج مع زوجته ووالديه في حجرة واحدة، وهي عادة ما تزال بعض المناطق المحافظة في بلادنا ملتزمة به.

ما يلاحظ كذلك أن مهندس الصورة لم يراع طبيعة المناطق المحافظة، لأن الصورة قد تعبر عن مفهوم العائلة المصغرة، وهو ما قد تدل عليه الصورة، لأنها تظهر الجدة والجد في زيارة لهذه العائلة الصغيرة، وما يؤكد ذلك تعلق الأخت الصغيرة بهما ومظهر الإكرام الذي تبدو عليه الأم وهي تحضر الطعام لهما.

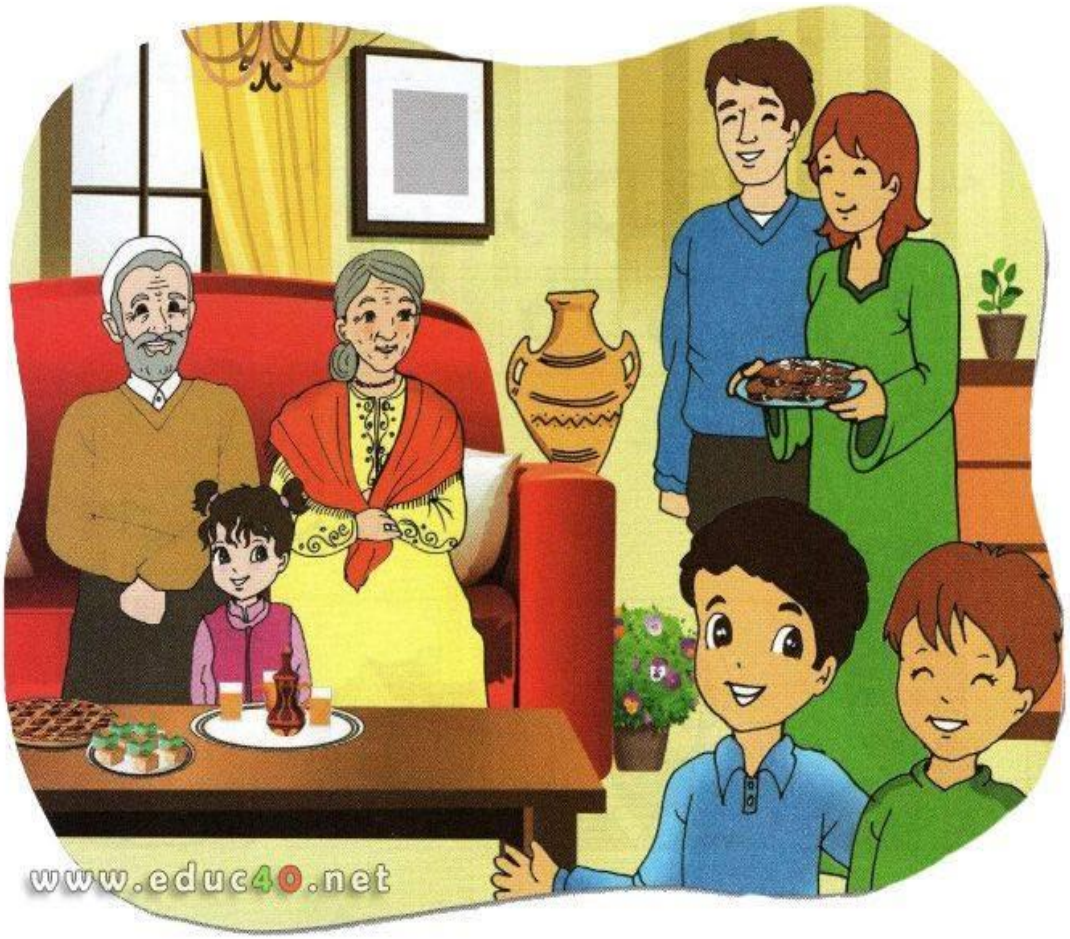

ولعل ما يؤكد هذا الكلام الصورة في الصفحة رقم 21 التي جاءت لتعبر عن اجتماع العائلة في صورتها المصغرة (الأب والأم والأبناء) وفي هذا إشارة غير خافية تعمل على ترسيخ هذا المفهوم لدى الأطفال، وأن الجد والجدة ليسا من العائلة، أو أنهما يعيشان لوحدهما، هذا إذا لم تكن دار العجزة مأوى لهما، كما هو الحال في الثقافة الغربية.

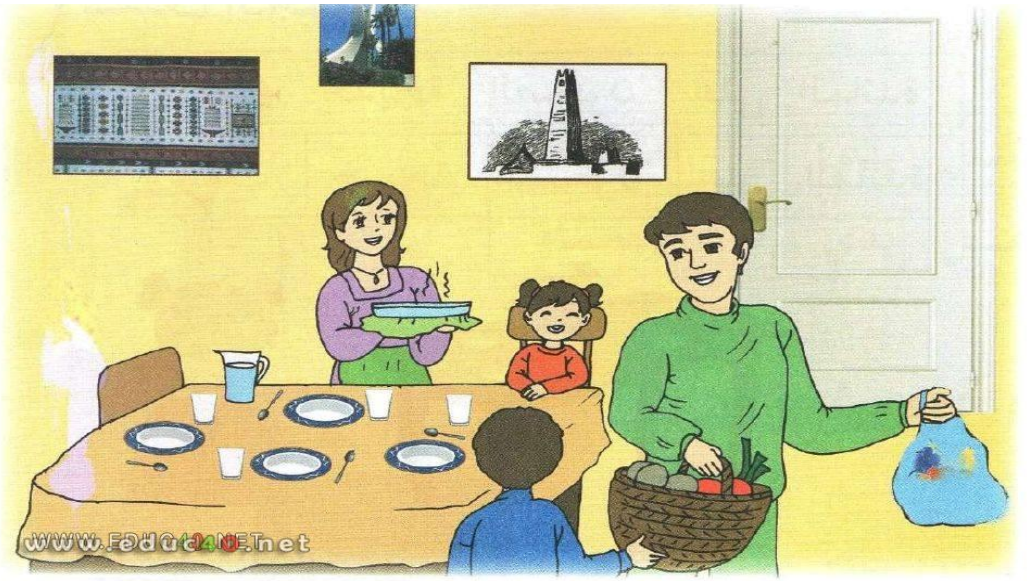

ومما زاد الطينة بلة نشاط الإدماج في الصفحة 28 إذ يقدم للمتعلم صورة شجرة عليها صور لمجموعة من الأفراد بما فيها الجد والجدة والأبوان، لكن المطلوب في السؤال يقصي الجد والجدة من أفراد العائلة.

بينما في الصور المدعمة لدرس التربية الإسلامية في الصفحة 24 يظهر الجد بوصفه أحد أركان العائلة الأساسية.

وإذا نظرنا في بعض الصور المدعمة نجدها مكررة ولا تخدم الغرض، ومن ذلك، الصورة في الصفحة 29، مكررة تقريبا في الصفحة 37.

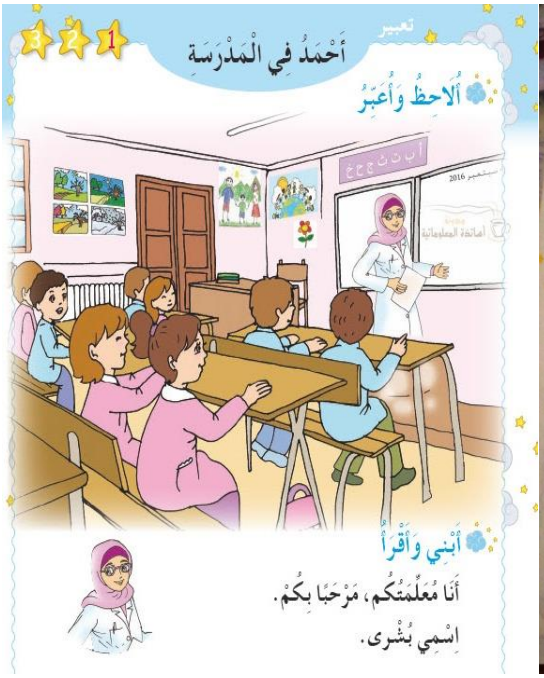

وفي الصفحة 49 من نص مدينتنا الصورة ليست من واقع المتعلم، ولا تخاطب مستواه الإدراكي (بنك /جامعة/ مستشفى/ مدرسة/ . وكذلك نص مباراة في كرة القدم ص: 65. فبعض الصور لا تراعي مستويات المتعلمين وظروفهم المعيشية والاجتماعية في المناطق المعزولة مثلا. نص عودة أبي من السفر ص: 113.

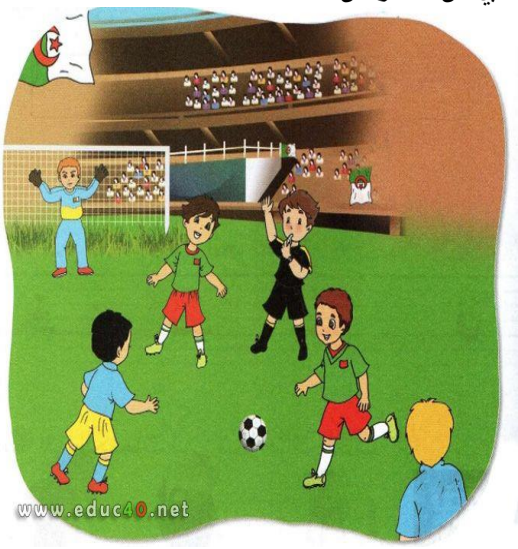

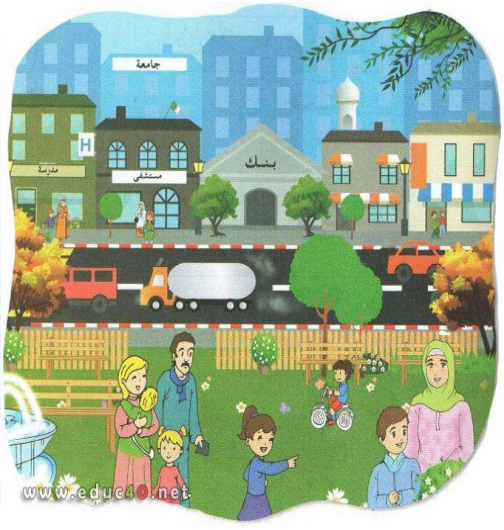

وفي الصورة الموضحة في الصفحة رقم 97 يمكننا أن نتساءل: هل الكسكس غذاء صحي؟ وعن تغييب دور الأب في هذا المشهد، ولدى استنطاق الصورة يمكن القول بأن الأم يمكنها أن تقوم بأدواره، وهو ما بدأنا نشاهده في مجتمعاتنا المتحضرة اليوم.

وفي الصورة الموضحة أيضا، في الصفحة رقم 129، المدعمة لنص عيد الأضحى نلاحظ مدى التركيز على الطعام والأكل، دون أن يرسخ النص القيم الدينية والأخلاقية التي تفرضها هذه المناسبة الدينية العظيمة (شعيرة الأضحية، التزاور، الفرح والسعادة، التصدق....إلخ).

وفي المقابل جاءت صورة نص أول يوم في رمضان هادفة إلى حد بعيد، لأنها أسهمت في ترسيخ قيمة من القيم الدينية وهي ركن الصوم، وجاء النص معها معبرا خاصة عبارة رجل التي وظفها الأب في مدح ولده. ص: 125.

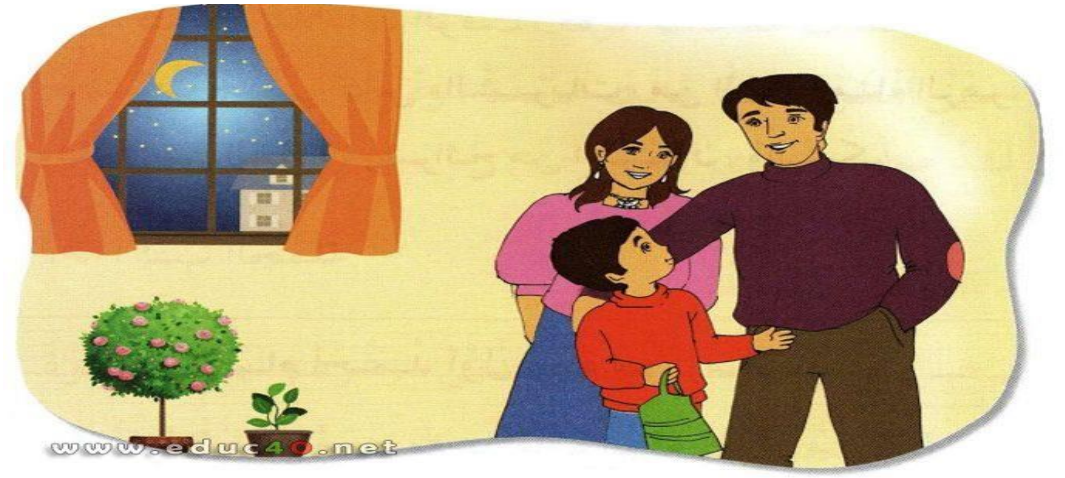

4- القراءة السيميائية لصورة خاصة بنشاط التربية الإسلامية:

سورة الفاتحة في الصفحة 16: وضع صورة مكتوبة لسورة الفاتحة لا يفيد المتعلم في هذه المرحلة في شيء، وقد كان الأفضل الاستعانة بصورة مرئية لقارئ يجيد فن التجويد لأن الأطفال يقلدونه سماعا، وهم في هذه المرحلة، وفي هذه الوضعية يعتمدون على حاسة السمع أكثر.

4- القراءة السيميائية لصورة خاصة بنشاط التربية المدنية:

صورة جواز السفر في الصفحة: 121 تتنافى وواقع المتعلم في هذه المرحلة، فقبل التعرف على عناصر هويته من خلال جواز السفر، هناك الدفتر العائلي، وشهادة الميلاد، وبطاقة التعريف الوطنية التي تعد أقرب إلى واقع المتعلم وما يعيشه في مجتمعه وأسرته.

أخيرا تجدر الإشارة إلى أن الصورة التعليمية تؤدي دورا خطيرا على المستوى الأيقوني والدلالي، وبذلك يتوجب على التعليمية استثمار أدوات القراءة السيميائية من أجل إدراك هذه الأدوار التي تنهض بها، هذا بالإضافة إلى تفعيل أدوات التحليل النقدي للخطاب.

-. قائمة الإحالات:

1: تجدر الإشارة في هذا السّياق إلى المفهوم الذي وضعه "رولان بارت" للسرد Naration الذي يرى بأنّه عالم متشعّب ومتنوّع ومتعدّد وغير محدود، بحيث يتجلّى في مختلف الخطابات الأدبيّة وغير الأدبيّة، ومنها الصورة ثابتة أو متحركة. يقول: "إن أنواع المحكي في العالم لا حصر لها (...) ويمكن نقلها عن طريق العديد من أشكال اللغة، المنطوقة والمكتوبة، الصور الثابتة والمتحركة، والإيماء، أو أي خليط منظم من كل هذه الأشكال. فالمحكي حاضر في الأسطورة والخرافة، وفي الحكاية على لسان الحيوان، والأقصوصة والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما والكوميديا، والبانطوميم [فن التمثيل الإيمائي] واللوحة المرسومة (...) والنقش على الزجاج، والسينما والرسوم الكاريكاتورية والخبر الصحفي والمحادثة. وفضلا عن هذه الأشكال اللانهائية تقريبا، فإن المحكي حاضر في كل الأزمنة، وفي كل الأمكنة، وفي كل المجتمعات... إنه موجود تماما مثل الحياة".

-Barthes (Roland), introduction à l'analyse structureale des récits, in communications n° 8, p. 07.

2 : صابر الحباشة، قضايا في السيمياء والدلالة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015، ص: 23.

3: ينظر، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
4: ينظر، جون بيير مونييه، المعرفة بالصورة": "أو ما العلاقة بين الصورة والمعرفة؟، ترجمة: صابر الحباشة، مجلة نوافذ، ع42، 2013، ص: 99.
5: ينظر، جون بيير مونييه، المرجع نفسه، ص: 100.
6:ينظر، دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة، طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،ط1، 2008، ص:28.
7: ينظر، سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2003، ص: 8.
8: جمال حضري، سيمائية النصوص : عرض وتطبيق منهجي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2015، ص: 11.

[9] :voir :Roland Barthes Rhétorique de l'image, in : Communications - n° 4, seuil, 1964, pp. 40-51.

10 : ينظر، سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحور، 2012، ص: 116.
11: سعيد بنكراد، المرجع السابق، ص: 118.

-قائمة المصادر والمراجع:

1-الكتاب المدرسي (كتابي في اللغة العربية)، السنة الأولى من التعليم الابتدائي.
2-جمال حضري، سيمائية النصوص : عرض وتطبيق منهجي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2015.
3-جون بيير مونييه، المعرفة بالصورة": "أو ما العلاقة بين الصورة والمعرفة؟، ترجمة: صابر الحباشة، مجلة نوافذ، ع42، 2013.
4-دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة، طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،ط1، 2008.
5-سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2003.
6-سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، 2012.
7-صابر الحباشة، قضايا في السيمياء والدلالة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015.
8-Barthes (Roland), introduction à l'analyse structureale des récits, in communications n° 8.
9-Roland Barthes Rhétorique de l'image, in : Communications - n° 4, seuil, 1964, pp. 40-51.